

الخطيب أرنوبيوس (Arnobius) والسلطة الرومانية (قراءة في مؤلف "أعداء الأمة")

The Orator Arnobius and Roman authority (Reading the work "The enemies of the nation")

محفوظ خالد¹

¹ جامعة محمد لمين دباغين، سطيف- 2 (الجزائر) m.khaled@unive-sétif2.dz

تاريخ القبول: 2024/04/06

تاريخ الإرسال: 2024/02/20

ملخص:

دأبت الكثير من الدراسات الغربية المحدثّة على الاهتمام بمؤلفات المفكرين الأفارقة اللذين ألفوا باللاتينية خلال العصر الروماني، إذ ركّزوا على جوانبها العلمية والفنية التي ارتبطت بعناصر الحضارة الرومانية "الغربية" كاللغة والديانة، الواقع الذي يجعلنا نعتقد أنهم كتبوا التاريخ بذكاء من خلال التأليف في العلوم والفنون بهدف الحفاظ والدفاع عن الهوية المحلية الأصيلة.

يقدم لنا الخطيب الشهير أرنوبيوس (Arnobius) ابن مدينة سيكا فينيريا (Sicca veneria) الكاف التونسية حالياً، الذي عاش ما بين 255م؟ و330م، ومؤلفه أعداء الأمة "Adversus Nationes" الذي يعتبر نموذجاً مهماً لهذا الطرح، فالمؤلف غني بالمعلومات التاريخية حول المنطقة المغاربية خلال الاحتلال الروماني، بل أدرج صاحبه الكثير من الأمور التي كانت ممنوعة من طرف السلطة الرومانية، إذ هاجم السلطة الوثنية المتسلطة، في المقابل دافع عن السكان المحليين المضطهدين.

كلمات مفتاحية:

المغرب القديم؛ الاحتلال الروماني؛ أرنوبيوس؛ المسيحية؛ الوثنية

Abstract:

Many modern Western studies have focused on the writings of African thinkers who wrote in Latin during the Roman era, focusing on its scientific and artistic aspects relating to elements of "western" Roman civilization, such as the language and religion, which gives us actually believe they wrote the story intelligently, Through writing in the sciences and arts with the aim of preserving and defending authentic local identity.

He introduces us to the famous orator Arnobius, son of the city of Sicca Veneria, currently in Tunisia, who lived between 255 AD and 330 AD, and his book Against the Pagans, "Adversus Nationes", which is considered a model important for this approach, the book is rich in historical information about the Maghreb region during Roman occupation, but the author includes many things that were forbidden by Roman authority, attacking pagan authoritarian authority, while in return defending the persecuted local population.

Keywords: Roman occupation; Arnobius; Christianity; Paganism; Maghreb Ancient

1- مقدمة

جرت العادة عند المؤرخين الغربيين القدامى والمعاصرين في اختصار تاريخ الشمال الأفريقي بالتركيز على الفترة الرومانية وذلك لإبراز الحضور الأوروبي بشمال إفريقيا من خلال التطرق إلى التاريخ السياسي والعسكري الذي كان يبرز الملوك والقادة العسكريين في حين أهملوا الجانب الفكري من منطلق أن الأفارقة كانوا قاصرين بل متمكنين في الحرب فقط، إلا أن الدراسات التاريخية والأثرية أثبتت أن المنطقة كانت لها إسهامات في الحضارة الإنسانية منذ العصور الحجرية وصولاً إلى الفترة القديمة، (ع.، بلخوجة، و الهادي، 1968، الصفحات 510-511) حيث احتكت بثقافات كثيرة وتفاعلت معها، (علي أحمد شعبان، 2014) إذ عُرفت ساكنة شمال إفريقيا بخصوصية لغوية اتسمت بالتعدد منذ النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد، (قمش، 2016، صفحة 75) تأثيرات وفدت من الشرق برا تمثلت في الثقافة المصرية القديمة وبحراً ممثلةً في الفينيقيين والإغريق واللاتين (الرومان)، إذ اجتهد حكام نوميديا منذ الملك يارباس (هرباص) إلى غاية بطليموس ابن يوبا الثاني على استغلال هذا التنوع لتبرز ثنائية لغوية في ممالكهم؛ فلغة ممارسة الحكم ولغة التأليف العلمي، فتفاعل قدماء الشمال الإفريقي مع اللغات الوافدة فاكتسبوها وأتقنوها كأبنائها الأصليين ثم طوعوها وعبروا بتا عن ذاتهم وأحاسيسهم ورؤاهم وأفكارهم، (عقون، 2015، صفحة 27) هذا الواقع جعل المهتمين بالموضوع يصطلحون "التراث الليبي- الإفريقي بالتعبير البوني" أو "التراث الليبي الإفريقي بالتعبير اليوناني" أو "التراث الإفريقي بالتعبير اللاتيني"، إلا أن أخبار نشاطات هذه النخبة الإفريقية الأصول لم تصلنا أو كانت ناقصة بسبب عوامل عدة وأغلب ما وصلنا كانت تحت عباءة الحضارة الرومانية بمسميات ارتبطت باللاتينية، أو ذُكرت لما ارتبطت بعنصر حضاري غربي كاللغة أو الديانة.

هذا البحث المتواضع عبارة عن محاولة لتناول هذا الموضوع بقراءة من زاوية جديدة على شكل تأملات تنظر في هذه الفئة من الأفارقة باعتبارهم نخبة شكلت نقطة جدل في الكتابات المحدثة من حيث أصولهم وانتماءاتهم بين المحلية والوافدة وما ترتب عن هذه القضية من اختلاف، وعليه سأحاول طرح فكرة قد تساعد في إيجاد قراءات وكتابات جديدة فيما يخص هذه النخبة الإفريقية المرومنة وذلك من خلال إخضاع بعض أعمالهم لدراسة في الخلفيات السياسية من خلال تسليط الضوء على الجانب التاريخي من أعمالهم، ولقد اتخذت كنموذج المفكر الخطيب المسيحي أرنوبيوس ابن سيكا فينيريا (الكاف حالياً)، وما في ذلك من اعتبارات تخدم إشكالية البحث.

2- أرنوبيوس* (255م؟ - 330م؟) المولد والنشأة:

2-1- مولده ونشأته:

شحيحة جدا المعلومات التي وصلتنا عن الأحوال الشخصية لأرنوبيوس، أساسها ما ورد مع القديس جيروم (Saint Jérôme de stridon)،** وبعض الإشارات التي أوردها هو نفسه في مؤلفه "ضد الوثنيين" "Adversus Nationes"، إذ تتفق الدراسات التاريخية بأنه إفريقي المولد والنشأة،*** ابن مدينة سيكا فينيريا (Sicca veneria) (أبو عمران، 1995، صفحة 15) **** الكاف التونسية حاليا، أما عن تاريخ ميلاده فهناك اختلاف بين المراجع، إذ تقدم تواريخ 250م 255م و260م، لكن المرجح حسب بعض المعطيات التاريخية هو 250م، وكذلك بالنسبة لتاريخ وفاته حيث قُدمت تواريخ ما قبل 311م و327م و330م، إذ ترجح دراسات حديثة أنه توفي قبل 311م، (Filion, 2011, p. 08) برز على الساحة بكثرة خلال فترة حكم الإمبراطور ديوقليسيانوس (284م- 305م)، وذلك في سياق معارضته لسياسة الاضطهاد الديني ضد المسيحيين التي قادها ديوقليسيانوس، هذا الواقع الملاحظ في أغلب الكتابات المحدثّة التي تناولت شخص أرنوبيوس ومؤلفه، إذ غفلوا أو أهملوا الظروف التاريخية التي برز فيها وما لها من أهمية لفهم موقفه من السلطة الوثنية ومغزى مؤلفه "أعداء الأمة" "Adversus Nationes" (Filion, 2011, p. 02).

اشتهر أرنوبيوس بمؤلفه الموسوم "أعداء الأمة" "Adversus Nationes"، وتذهب أغلب الدراسات التي اهتمت بهذه الشخصية إلى القول أنه كان وثني المعتقد في أغلب فترة حياته، ليعتنق المسيحية في فترة متأخرة من حياته، حيث تُقدم المراجع تاريخ 295م أو 296م، ما يعطينا رقم ستون سنة من عمره، (Bine, 2021, p. 2/7) هذه الحادثة جعلت المشرفين على الكنيسة يشكّون ويتحفظون من إيمانه وقناعاته بالديانة المسيحية، هذا الموقف جعل أرنوبيوس يذهب لتأليف مؤلف "ضد الوثنيين"، كان خطيبا بارعا ومدرسا لها في مسقط رأسه ولمدة طويلة، (Monceaux, 1894) حيث درس عنده لوكيوس كايكليوس فيرميانوس المعروف ب: لكتانس، (خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية، 2020، صفحة 82) كان أرنوبيوس متمكنا في اللغة الإغريقية وعلومها أكثر من اللاتينية. (Gounelle, 2008, p. 505) كما اقترن اسمه بالمدرسة التشكيكية.

كان متأثرا بالكاتب مينيكوس فيليكس،**** وبالعودة إلى قضية الشك في تنصره الغريب، ذهبت بعض المصادر والمراجع المحدثّة إلى التركيز على مجموعة من معطيات لدعم اعتقاد القائمين على الكنيسة، وتتقدم هذه المعطيات اعتبار أنه دخل المسيحية بعد رؤية في منامه، (Charlet, 1989, p. 1/7) الواقعة التي أقرّها أرنوبيوس في الفصل التاسع وثلاثون (39) من الكتاب الأول لمؤلفه، يُضاف إليه نقطة عدم اعتماده في مؤلفه على الحجج والدلائل الدينية الواردة في الكتاب المقدس، إذ كان يستعمل الخطابة للدفاع عن المسيحية، وهو الأمر الذي يتنافى مع المسيحية كون

الخطابة مستوحات من المدارس الكلاسيكية ذات الخلفية والقاعدة الوثنية القائمة في بعض جوانبها على الميثولوجيا الوثنية. (Charlet, 1989, p. 4/7) بالإضافة إلى قضية موقفه من بعض معتقدات المسيحية وخصوصاً قضية "الشرطية" فيما تعلق بأصل الروح الإنسانية. (Date, 2012) حيث استند في تفسير هذه القضايا إلى الفلسفة الأفلاطونية. (Bine, 2021, p. 2/7) الأمر الذي جعل الإدارة الكنسية تتحفظ على مؤلفه بملاحظة في مصنف الكتابات الدينية المسيحية، الذي أنجزه الأسقف جيلاز تحت عنوان "Decretum Gelasianum". ومن هذا المنطلق طرح التساؤل التالي: هل حقاً كان أرنوبيوس جاهلاً لتعاليم المسيحية؟ وإن كان العكس فلماذا لجأ إلى الفلسفة والخطابة للرد على أعداء المسيحية؟

2-2- مؤلفاته:

اشتهر أرنوبيوس الأفري (الأفريقي) بمؤلف "أعداء الأمة" (Adversus Nationes). وكما سبق ذكره فإن الدراسات تتحدث بأن تأليفه كان بدافع إثبات حسن نيته في تنصره، بعدما شكك في إيمانه من طرف القائمين على الكنيسة بمسقط رأسه كما سبق وذكرت (Bine, 2021). ويرجح فترة تأليف هذا المؤلف إلى بداية القرن الرابع للميلاد وخلال الفترة الممتدة بين 304 – 312 م، (Gounelle, 2008، صفحة 505) وهذا استناداً إلى ما أورده في مؤلفه خلال محاولاته تحقيب بعض الأحداث، إذ يذكر في الفصل الثالث عشر من الكتاب الأول بأن المسيحية موجودة منذ 300 سنة، ثم في الفصل الثاني وسبعين (72) من الكتاب الثاني يذكر بأن روما موجودة منذ 1050 سنة أول أقل بقليل، (Charlet, 1989, p. 1/7) يتكون المؤلف من سبعة (07) أجزاء وصلتنا من خلال مخطوطين؛ فالأول "كارولنجي" يعود إلى القرن التاسع للميلاد وأطلق عليه مخطوط باريس، ليظهر مخطوط آخر خلال القرن الحادي عشر أطلق عليه مخطوط بروكسل، (Savon & Fragu, 2012, p. 283) الجديد في هذا المخطوط أنه يحتوي على كتاب زائد، والحقيقة أنه كتاب للمفكر مينيكيوس فيليكس "Minucius Félix" تحت عنوان "أوكتافيوس" دمج مع مؤلف أرنوبيوس، كما تشير الدراسات التاريخية التي اهتمت بالشخصية ومؤلفه إلى أن النهاية المبتورة للكتاب السابع – الأخير - يوحي بأن أرنوبيوس توفي قبل إتمام مؤلفه، (Charlet, 1989, p. 3/7) وفي العموم فإن مؤلف "أعداء الأمة" يعتبر من أشهر المؤلفات وأدقها من بين تلك التي انتقدت الديانة الوثنية. (Bine, 2021)

أما عن محتوى المؤلف فينقسم إلى قسمين فالكتابين الأول والثاني كان بمثابة مرافعة لصالح المسيحية ضد الوثنيين، إذ حاول صاحب المؤلف تبرئة المسيحية من تهمة إغصاب الآلهة الوثنية والحروب الأهلية التي عرفت الإمبراطورية. (Inglebert, 1999, p. 153) في حين القسم الثاني كانت كتبه الخمسة تهجمية على الوثنية، ويمكن عرض محتوى الكتب في العموم كما يلي:

- الكتاب الأول (I): عبارة عن اعترافات واعتذارات لما اقترفه من مخالفات أخلاقية وروحية قبل تنصره. (Arnobius, Contre les gentils, 1982, p. liv I)
- الكتاب الثاني (II): كان بمحتوي فلسفي، حيث وضع عدم جدية الفلسفة الوثنية، كما دافع عن المسيحية التي أتهمت بجلها المآسي للإمبراطورية. (Gounelle, 2008, p. 505) حيث ذكّر أصحاب التهمة بأن الكوارث الطبيعية كانت موجودة قبل مجيء المسيح. (Arnobius, Contre les gentils, 2018, p. liv II)
- الكتب، الثالث (Arnobius, Contre les gentils, 2007) والرابع والخامس (V-IV-III): حديث عن سياسة السلطة القمعية ضد المسيحية والمسيحيين، ونقد بناء للمعتقدات الوثنية اللاتينية (الآلهة والأساطير) المليئة (حسب تعبيره) بالتناقضات والقصص الخيالية. (Charlet, 1989, p. 3/7)
- الكتابين السادس والسابع (VI-VII): حديث بسخرية عن المعابد الوثنية وما فيها من تماثيل وطقوس. (Arnobius, 2010, pp. liv VI-VII)



صورة لأرنوبيوس تعود إلى سنة 1493م حسب تصور عالم الطبيعة شيدل هارتمان (Hartmann Schedel)

المصدر: Drozdof (A.S.), Arnobe l'ancien, www.pravence.ru/text/76138

3- ظروف بروز أرنوبيوس (Arnobius) :

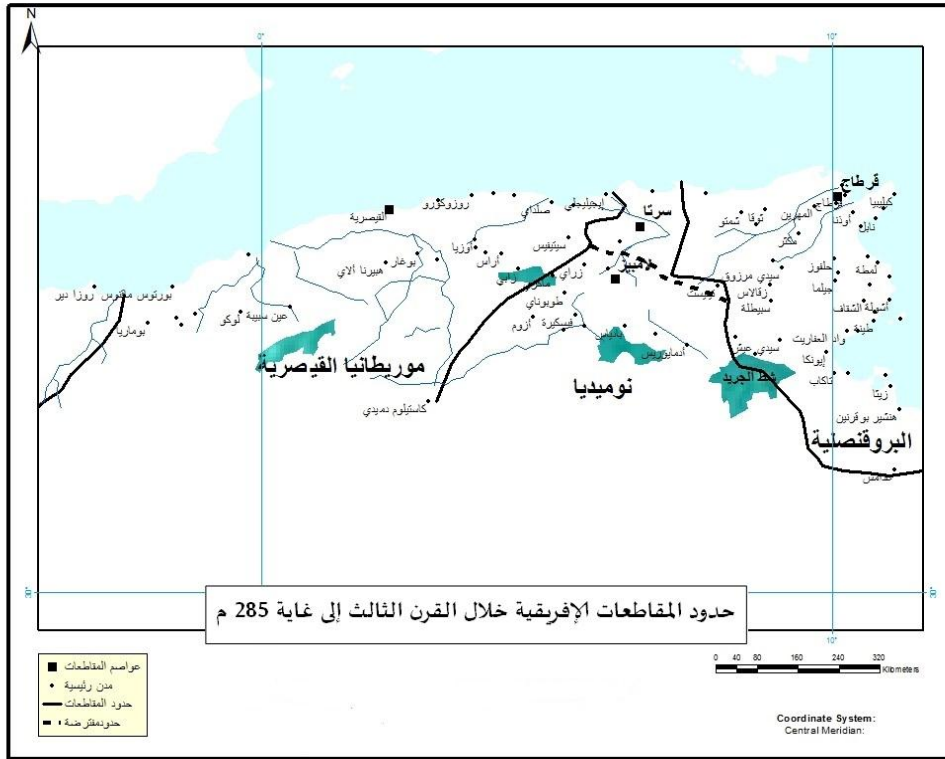
ظهر أرنوبيوس على مسرح الأحداث خلال النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد، فترة عُرفت بـ "أزمة القرن الثالث" كما عرفت أيضا بـ "الفوضى العسكرية، حيث ضعفت السلطة المركزية في روما، واشتد الصراع بين السياسيين والعسكريين وتناطحت الجيوش فيما بينها وتزايدت الضغوطات على حدود الإمبراطورية، فاشتعلت الثورات والتمردات داخل أقاليم المقاطعات، الشيء الذي أثار على التطور الاقتصادي والثقافي، فتجلى في أزمة مالية خانقة، إذ توقفت عجلة الإنتاج الزراعي والصناعي وضعفت التجارة، هذه التطورات التي أدت إلى انعكاسات عسكرية و أمنية واجتماعية، كفقدان الرومان السيطرة على الكثير من الأقاليم، وتراجعت سيطرتهم و نفوذهم، هذه التطورات وأخرى أدخلت الدولة الرومانية في فترة حرجة من تاريخها، حيث اعتبرت بمثابة بداية النهاية للإمبراطورية و قد لخص القديس كبريانوس الحالة بقوله أن الفوضى السياسية أدخلت الإمبراطورية في حالة فوضى اجتماعية وروحية.

رغم أن بدايات الأزمة تزامنت مع مشاكل دينية عقائدية كانت تعيشها الكنيسة داخلها، (Briand Ponsard, 2006, p. 247) الواقع الذي أوجد أزمة معتقد والتي استغلته السلطة ضد تنامي الديانة المسيحية المتناقضة مع السياسة العامة للإدارة الإمبراطورية. (Bonnet & Lencon, 1997, p. 139) إذ لم تتأخر انعكاسات الفوضى السياسية على الحياة الدينية و الروحية، من خلال خروج أغلب المعتقدات السرية والأجنبية إلى العلن، التي كانت ممنوعة من طرف السلطة سابقا. (Bonnet & Lencon, 1997, p. 20) كما أكدت المصادر و خصوصا الأدبية منها، أن هذا الصدام العقائدي الذي كان قائما كما أشرنا إليه سابقا فيما يخص الاختلاف في قضية واحدة ، هذا الاختلاف الذي كان في الغالب أساسه وعمقه المعتقد، إذ ظهر جليا في الجدل الذي كان قائم بين المسيحيين و الوثنيين. (Cosme, 1998, p. 09) وهي مؤشرات عكست حالة لا استقرار دينية وفكرية، هذه الفوضى العقائدية التي كان يعيشها سكان الإمبراطورية، ولدت فراقا روحيا وفكريا زاد من مشاكل السلطة، وبقي كذلك حتى عهد الإمبراطور قسطنطين الأول. (Le Bohec, 2013, p. 219)

الجدير ذكره في هذا المقام؛ هو انتشار المذهب الأفلاطوني الجديد وانتشاره بقوة في المقاطعات الأفريقية، و خصوصا عند النخبة المحلية، (خالد، دور العنصر النوميدي في إزدهار الحياة الفكرية بحواضر توميديا خلال العصر الروماني، 2016، صفحة 22) الواقع الذي يؤكد أنه أغلب الباحثين المحدثون، كون المقاطعات الأفريقية احتلت مكانة مرموقة في الحضارة الرومانية في شقها الغربي خلال القرن الثاني للميلاد. (Lepelly, 1998, p. 98) كما احتلت المرتبة الأولى في النشاط والإنتاج الفكريين خلال القرن الثالث، هذا المذهب الأفلاطوني كان مناقض

للنظام الكلاسيكي المكرس من طرف السلطة الرومانية، الأمر الذي أدي حسب رأينا إلى بروز وعي فكري، هذا الوعي الفكري الذي سيولد نهضة اجتماعية بانعكاسات ثقافية وفنية ببعد "ثوري". (Christol, 1997, p. 85)

أدى الظلم الاجتماعي الذي كان قائما في المقاطعات إلى زيادة حدة هذه الفوضى العقائدية، حيث انقسم المجتمع الروماني إلى طبقتين؛ فالأرستقراطية الحاكمة، صاحبة الامتيازات من الإعفاءات الضريبية والخدمة الإلزامية والخدمة العسكرية، التي أحكمت سيطرتها عن طريق الأجهزة البيروقراطية ونظام الإقطاع، في المقابل الطبقة العامة من البسطاء التي هاجمها اليأس و الفقر والجهل، (أبادير صفوة، 2009، صفحة 221) هذه الفئة الأخيرة التي ارتمت في أحضان المسيحية باعتبارها متنفسهم، لتعرف المسيحية في إفريقيا أوج تطورها خلال القرن الثالث، حيث شهدت إقبالا والتفافا كبيرا من طرف سكان المقاطعات، فتزايد عدد المؤمنين وتكاثر الكنائس وانتظمت أحسن وأكثر، فالتحقت بصفوفها كل شرائح المجتمع بما فيهم النخب على غرار أرنوبيوس، الأمر الذي شكّل تحديا جديدا للسلطة لما كانت تحمله من معارضة للديانة الرسمية الوثنية، إذ تزايدت الأصوات المسيحية في المقاطعات الإفريقية الراضية لسلطة الإمبراطور القائمة على الديانة الوثنية، فتراجعت نسبة الاشتراكات المقدمة للمعابد والاحتفالات الوثنية الرسمية وتزايدت نسبة رفض الجنودية بل عرف الجيش حالات عصيان وفرار، هذه الوضعية دفعت السلطة إلى اتخاذ إجراءات صارمة اتسمت بسياسة الاضطهاد ضد المسيحيين، حيث اختلفت وتيرة الاضطهاد من إمبراطور إلى آخر، إلا أن أشهرها وأفظعها تلك التي عرفتها فترات حكم كل من ديقوس و فاليريانوس وبعدها ديوقليسيانوس، هذا القمع أعطى بعدا سياسيا للمسيحية بشعار التحرر المجسد لاحقا في الحركة الدوناتية لتشهد المقاطعات الإفريقية أكبر نسبة من شهداء المسيحية عبر كامل الإمبراطورية خلال القرنين الثالث والرابع حتى من النخبة المحلية المرومنة.



المصدر: خالد محفوظ، 2020، ص- 294.

4- أرنوبيوس والكتابة التاريخية وموقفه من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب:

يذهب الكثير من المهتمين بمصادر التاريخ الروماني عموما والمسيحية خصوصا الى اعتبار الأخبار التاريخية الواردة في مؤلف أرنوبيوس تفتقر الى الدقة وغياب التحقيق، (Inglebert, 1999, p. 153) هذه الملاحظات دفعتنا لقراءة متأنية في خلفيات تأليف أرنوبيوس لمؤلفه " أعداء الأمة " من خلال:

4-1- التأريخ بالكتابة الدينية:

يقدم لنا مؤلف "أعداء الأمة" (Adversus Nationes) معلومات كثيرة عن أحوال الإمبراطورية كحديثه عن الحروب الأهلية الرومانية عموما وتلك التي اهتمت فيها المسيحية بالتسبب فيها، بالإضافة الى الحروب الدائمة للرومان ضد الجرمان والفرس، (Arnohe, 1982, pp. I-16) وهي الزاهرة التي شغلت فترة النص الثاني من القرن الثالث للميلاد حين هُددت حدود الإمبراطورية من طرف القبائل الجرمانية في أوروبا

وخصوصا الألمان اللذين شكلوا صداعا للسلطة المركزية، وفي الشرقية السسانيون والسيكيثيين (Scythes) وخصوصا خلال حكم الإمبراطور كلاوديوس (Arnobius, Contre les gentils, 1982, pp. I-16) وهي الأحداث التي وثقها بعض المؤلفين اللاحقين لأرنوبيوس، بالإضافة إلى الكثير من المخطفات الأثرية، (خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية، 2020، الصفحات 49-50) هذه التطورات العسكرية التي كادت تعصف بالدولة، إذ لخصه أرنوبيوس بالقول "ولقد تخطت الإمبراطورية الخطر بانتصارها على أعدائها" (Arnobius, Contre les gentils, 1982)، كما تحدث بإسهاب عن أحوال البلاد المغاربية، مثل حديثه عن الكوارث الطبيعية التي حلت بها، مثل الجفاف والجراد الذي أهلك المزارع والمحاصيل، بالإضافة إلى بعض المعطيات المناخية ومتغيراتها التي كانت قائمة في الشمال الإفريقي، (Inglebert, 1999, p. 153) كما يقدم لنا معلومات وافرة ودقيقة عن الديانة الرومانية (المعتقدات، الأساطير، الطقوس) بإفريقيا في ظل الاحتلال الروماني، يُضاف إلى ذلك وصفه للاضطهاد الديني ضد المسيحيين الذي شهدته المقاطعات الإفريقية وخصوصا فيما عُرف بمرسوم 303م الذي أصدره الإمبراطور ديوكليسيانوس، حيث أمرَ بتهديم الكنائس وإتلاف الكتب الدينية المسيحية، بالإضافة إلى متابعة المعتقدين بها مع تسليط كل أنواع الاضطهاد. (خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية، 2020، صفحة 41) كما أشار إلى نقائص سيرة الكثير من معتنقي المسيحية الجدد (Bine, 2021).

2-4- اعتماد التاريخ والخطابة بدل النصوص الدينية:

هل حقا كان أرنوبيوس جاهلا لتعاليم المسيحية؟ ولماذا استعان بالتاريخ والخطابة للدفاع عن المسيحية؟ بالعودة إلى قضية اتهامه بجهله لتفاصيل المسيحية، وتركيزه على الخطابة للرد على الوثنيين، (Encyclopedia Britanica, 1911) وبلاستناد إلى حديث القديس جيروم أين يصف في إحدى مراسلاته مع بعض الأساقفة بأن كتابات أرنوبيوس كثير منها جيد لكن أسلوبه معقد، (Filion, 2011, p. 5) في المقابل نجد بعض الدراسات الأكاديمية المحدثّة تشير إلى أن كتابات أرنوبيوس كانت متميزة وفريدة عن بقية الكتابات التي روجت للمسيحية، (Filion, 2011, p. 2) حيث امتازت بأسلوب الملاحظات والتعليق، ما يوحي إلى أنه كان مطلعاً جداً على العهد الجديد، ويظهر ذلك جلياً في استعائته بمؤلفات تيرتوليانوس وكرييانوس إلى حد أن عنوان مؤلفه "Adversus Nationes" مستوحى من عنوان تيرتوليانوس المعنون "Ad Nations" "للأمم"، (Charlet, 1989, p. 3/7) الأمر الذي يدفعنا للتساؤل عن مدى صحة كلام القديس جيروم، فهل حقا أرنوبيوس كان معقد الأسلوب؟ أم أن مستوي القديس جيروم كان ضعيفاً لفهم كلام أرنوبيوس؟ وخصوصاً أن هذا الأخير كان منتعياً إلى المدرسة القديمة المناهضة للمسيحية، ثم

نتساءل عن سر تركيز أرنوبوس على الخطابة بدل الحجج الدينية، والحقيقة أن مرد ذلك كان من باب اعتقاده بأن الوثنيون جاهلون للنصوص الدينية المسيحية ولا يؤمنون ولا يعترفون بها بقدر ما يقتنعون بالحجج العقلية، (Date, 2012) وهي الفكرة الثابتة حسب اعتقادي من خلال تأثره بالكاتب مينيكيوس فيليكس (Minucius Félix) في شرحه وتشريحه للفوضى الروحية التي كانت تعيشها الإمبراطورية خلال القرن الثالث للميلاد وكيفية الخروج منها، (خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية، 2020، صفحة 82) حيث حاول التوفيق بين الموروث الوثني والموروث الإنجيلي، بل يمكن فهم أسلوبه في معالجة المعضلة الدينية من خلال تلميذه لاكتانس الذي نهج نفس منهجه، (Filion, 2011, p. 6) كما أجمعت الدراسات التي اهتمت بدراسة مؤلفه على المستوي الراقي في التكامل بين عناصره ولغته وأسلوبه، بالإضافة إلى تجاوزه نقل الأخبار التاريخية والذهاب في تحليلها وتفسيرها. (Savon & Fragu, 2012, p. 01)

4-3- سخريته من الآلهة الرومانية الوثنية:

هاجم أرنوبوس الآلهة الوثنية بحكايات "أدلة" من التاريخ، حيث لم تتدخل لإنقاذ الدولة الرومانية في عدة معارك خسرها الرومان، (Inglebert, 1999, p. 158) ويبدو جليا أن سخريته من الآلهة الوثنية الرومانية: كان بمثابة نقد للسياسات الإمبراطورية، حيث اعتبر هذه الآلهة غير واقعية، إذ كانت تتحكم في مصائر البشر بطريقة ذاتية تجعل من البشر آلات لتحقيق مرادها ورغباتها الشهوانية، (بن دوبة، 2017، صفحة 112) هذا الكلام يمكن ترجمته على أنه إشارة إلى الأباطرة الذين استعملوا الآلهة كأدوات لتبرير وإضفاء الشرعية والمشروعية على استبدادهم، حيث كان ضد اعتبار الإمبراطور إله وإنما خادم الإله. (Inglebert, 1999, p. 161) وهو نفس الموقف الذي تبناه القديس كبريانوس من قبله، ويستطرد في القضية عندما ركّز على قضية اتهام المسيحية في تسببها على إغضاب الآلهة الوثنية التي سلطت تدمرها وغضبها على البشر من خلال تناطح أبناء الشعب الواحد - يقصد الحروب الأهلية- والكوارث الطبيعية والمجاعات والأمراض الفتاكة على الناس، بل حتى الجراد كان عقابا من الآلهة الوثنية. ليعلق بالقول بأن فكرة غضب الآلهة حماقة كبرى، حيث يقول "كيف للآلهة أن تغضب، علما أن صفة الغضب من صفات البشر". (Inglebert, 1999, p. 153).

4-4- موقفه من الاحتلال الروماني وعنصرته:

يظهر جليا موقفه الرافض للاحتلال الروماني من خلال حديثه عن ازدواجية السياسة الرومانية في التعامل مع سكان الإمبراطورية، و يقصد هنا سكان المقاطعات، فرغم إهمال أرنوبوس الحديث عن التوسعات الرومانية وما أنجزها عنها من تعسف، إلا أنه أشار إليه بالقول أنه القدر الإنساني، لكن في المقابل يخصص مجالات يتناول فيها ما يمكن اعتباره رفضا لسياسة

المحتل، فكان يستعمل مصطلحات تؤدي معنى التضاد الدالة على التميز الذي اعتمدته الإدارة الإمبراطورية، فجدده تارة يقابل مصطلحي (Urbs) و (Orbis)، فالأول قصد الروماني في حين الثاني كان خاص برومان المقاطعات أي "المرومين" أو بالأحرى المليطنين، يُضاف إلى هذا استعماله في خطابه ضمائر "نحن" و "أنتم" (Inglebert, 1999, p. 158) وهنا نتساءل إن كان يقصد بضمير "نحن" الأفارقة و "أنتم" اللاتين (الرومان)؟ أم نأخذ برأي الدراسات التي ردت ذلك إلى التميز الديني، وأنه كان يقصد نحن المسيحيون وأنتم الوثنيون؟ ويستبعدون التميز الإثني والثقافي.

محاولتي الفصل في هذه القضية يجعلني أستدعي بعض المعطيات وأجهد في استغلالها بمقاربة قد تكون دربا للإجابة على الإشكالية، فالحقيقة أنه بالعودة إلى واقع المسيحية خلال القرنين الثالث و الرابع عرفت أوج حراكها وتطورها في المقاطعات الإفريقية، (خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية، 2020، صفحة 227) وأغلب مناصريها كانوا من الأفارقة بل قدمت المقاطعات الإفريقية أكبر عدد من الشهداء للمسيحية وكانوا في العموم من الريفيين المهمشين والمضطهدين، (خالد، المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية، 2020، صفحة 235) وهذا ما يمكن أن يفسر سر هيجان السلطة الرومانية ضد المسيحية ومعتنقيها إلى حد إصدار مرسوم 303م الذي أقرَّ بضرورة تهديم الكنائس وإتلاف كتب المسيحية، هذا الواقع المنبثق من حقائق تاريخية يجعلنا نرجح أن أسلوب التضاد والتميز الذي اعتمده أرنوبيوس كان ذو بعد سياسي وثقافي، يجبر بإفريقيته المسيحية ضد الرومان المحتل، كما يمكن إضافة نقطة إثارته أمجاد تاريخية ارتبطت بشخصيات رومانية وأخرى كانت عدوة للرومان، إذ نجده يمجّد ويفتخر ببعض الشخصيات الرومانية الجمهورية المعروفة بمواقفها المعادية للتوسعات، مقتديا في ذلك بمواطنه فلوريس (Florus) في مؤلفه "مختصر التاريخ الروماني"، الأمر الذي يمكن قراءته وترجمته على أنه موقف ضد الاحتلال الروماني وفي المقابل كان يفخر ويمجد انتصارات حنبعل على الجيوش الرومانية خلال الحرب البونيقية الثانية. (Arnobius, Contre les gentils, 2018, pp. II-73)

5- خاتمة:

الحقيقة أنه بقدر ما ساهم هؤلاء المفكرون الليبيون (الأفارقة) في تطور وازدهار الثقافة الرومانية فإنهم ساهموا في إبراز دور العنصر المحلي (الإفريقي) بمقوماته الأصيلة في التطور الحضاري، كما ساهموا بطريقة خاصة في الحفاظ والدفاع عن الهوية المحلية التي كانت تتميز عن ثقافات الوافدين، ولقد تجلي دورهم هذا من خلال مواضع بعض أعمالهم التي عبرت بطرق مختلفة عن أفكارهم المتعلقة ببعض مستجدات عصرهم، بالإضافة إلى بعض مواقفهم من بعض سياسات السلطة الرومانية عموما وتلك التي ارتبطت بشمال إفريقيا خصوصا، الأمر الذي يمكن اعتباره ضرب من المقاومة الثقافية ضد الاحتلال الروماني، مارسها نخبة من أفارقة مرومين.

تقدم شخصية أرنوبيوس الأفري ابن مدينة سيكا فينيريا (Sicca Veneria) الكاف التونسية حالياً ومؤلفه "أعداء الأمة" "Adversus Nationes" نموذجاً مهماً في دراسة جوانب من مواقف النخبة الإفريقية المرومنة من الاحتلال الروماني للبلاد المغاربية، حيث أن دراسة متأنية ومعقدة في مؤلفه المعنون بـ: "ضد الوثنيين" قد يوحى إلى أن المفكر كان يتحدث السياسة بالدين، من خلال توظيف التاريخ الروماني وتفسيره حسب قناعاته مثله مثل الكثير من المشاهير الأفارقة واللاتين، أمثال سالوستيوس، شيشرون وتيتوس ليفيوس... لا اعتبار أن الدين كان سلاحاً فعالاً ضد السلطة الرومانية، حيث جهر بإفريقيته المسيحية ضد الرومان المحتل، كما أن أرنوبيوس كان عقلانياً في طرحه الديني عكس الكثير من المبشرين الكاثوليك "المحافظين"، وخلاصة القول هي توصية إلى ضرورة دحض فكرة- مغالطة مفادها أنه لم يعد هناك ما يمكن حصده من حقل التاريخ المغاربي، بل يجب إعادة النظر في الكثير من الكتابات التاريخية التي أبعدت العمق الحضاري عن الإنسان المغاربي، وطرح تساؤل أساسي مفاده: هل كل ما كتب حول تاريخنا القديم بعلمية ومنهجية صحيح ولا يقبل المناقشة والتصحيح؟ وتكون البداية بإعادة قراءة المصادر القديمة مع استغلال عميق للمصادر الأثرية وبناء دراسات نقدية للكتابات المحدثه.

التعليقات والشروحات:

* تشير الدراسات إلى ارتباط هذا الاسم بشخصيتين: أرنوبيوس الأول (القرنين الثالث والرابع) وأرنوبيوس الثاني (القرن الخامس) المعروف بالراهب، وبالتالي أصبح التميز بينهما بإضافة المصطلحات التالية باسم شخصية بحثنا: الأفري (Afer) أو بالقول أرنوبيوس الخطيب ابن سيكا فينيريا (Sicca Veneria) ** هو (Saint Jérôme de de stridon) عاش ما بين 347م و 420م، يعتبر أحد المؤسسين للكنيسة اللاتينية.

*** هناك بعض الإشارات إلى أن أصل الاسم إغريقي، راجع:

Charlet, J. (1989). Arnobe (Arnobius). *Encyclopedie Brebere* (6)

**** (مع تصحيح سيكا عوض سيجا) Siga

***** هو Minucius Félix، ولد بضواحي سوق أهراس عاش نهاية القرن الثاني و النصف الأول من القرن الثالث (توفي حوالي 250م)، أشهر بمؤلف (Octavius) وهو عبارة عن قصة لمحاورة فلسفية؛ ملخص الحوار هو كما يلي "خلال جلسة بين ثلاث أشخاص على شاطئ مدينة أوستي بروما، فالأشخاص هم رومانين واحد وثني والآخر مسيحي و الثالث نوميدي "مرومن" ذو عقيدة مسيحية وهو المتحدث، حيث بدأ نقاش ثم تحول إلى جدال بين الرومانين ليسكت المرومن حتى النهاية حيث استمع لكلا المجادلين ثم يفك الجدال بحل وسطي عقلاني أقنع به الطرفين بأنه يمكن العيش مسيحي بتقاليد و أعراف كلاسيكية.

***** جُل الدراسات التي اهتمت بهذه الشخصية تجمع على عدم تسجيل أي موقف له ضد المسيحية قبل تنصره

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

- 01- شيخ أبو عمران. (1995). معجم مشاهير المغاربة. الجزائر، الجزائر: جامعة الجزائر.
- 02- العربي عقون. (جوان، 2015). المجتمع والثقافة في الشمال الإفريقي القديم: نظرة موجزة في اسهامات الجزائر في الحضارة الإنسانية. (جامعة قسنطينة 2، المحرر) مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية (43). المحجوبي ع.، خالد بلخوجة، وسليم الهادي. (1968). التاريخ العام للبلاد التونسية. تونس، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- 03- محفوظ خالد. (2016). دور العنصر النوميدي في ازدهار الحياة الفكرية بحواضر نوميديا خلال العصر الروماني. الأوراس عبر التاريخ. 03, pp. 22-23. خنشة: المتحف العمومي الوطني.
- 04- خديجة قمش. (2016). لغات الكتابة عند ملوك شمال إفريقيا القديم. أسيناك (11)، صفحة 75.
- 04- شرف الدين بن دوبة. (جانفي، 2017). لوكيوس أبوليوس ورحلة البحث عن الهوية. مجلة أبوليوس (06)، صفحة 112.
- 05- طارق علي أحمد شعبان. (2014). المثاقفة ودورها في الحراك الفكري ببلاد المغرب القديم. معسكر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر.
- 06- محفوظ خالد. (2020). المقاطعات الإفريقية خلال الفوضى العسكرية. الجزائر: جامعة الجزائر 02
- 07- مرسي أبابير صفوة. (2009). حضارة الرومان في العصور الوسطى؛ الإظدهار والتدهور. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

ثانيا المراجع باللغة الاجنبية

- 01- Arnobe. (1982). *Contre les gentils*. (H. le boniec, Trad.) Paris: les belles lettres.
- 02- Arnobe. (2007). *Contre les gentils*. (J. Champeaux, Trad.) Paris, France: les belles lettres.
- 03- Arnobe. (2018). *Contre les gentils*. (M. armisen-Marchitti, Trad.) Paris, France: les belles lettres.
- 04- Arnobius. (2010). *Contre les gentils*. (c. d. france, Éd., & B. Frague, Trad.) Paris: les belles lettres.
- 05- Bine, E. (2021, Mais 04). *Arnobe (260?-327?)*. (Universalis.fr, Éd.) Universalis.fr , 2/7.
- 06- Bonnet, C., & Lencon, B. (1997). *L'empire Romain de 192 a 325 du Haut empire à L'Antiquité tardive*. Paris: Ophrys 19.
- 07- Briand Ponsard, C. (2006). *L'Afrique romaine de l'Atlantique à la tripolitaine 146-533*. Paris: Armand colin.
- 08- Charlet, J. (1989). *Arnobe (Arnobius)*. *Encyclopedie Brebere* (6), 1/7.
- 09- Christol, M. (1997). *L'empire Romain du III siecle; Histoire Politique*. Paris: Errance.
- 10- Cosme, P. (1998). *L'Etat romain entre eclatement et continuité 192-325*. Paris: Seli Arslan.

- 11- Date, C. (2012, 11 03). *Privé de maintien, Iréné le conditionnalité*. www.rethinkinghell.com , 05.
- 12- Encyclopedia Britanica. (1911). *Arnobius*. (P. U. Cambridge, Éd.) 13- *Encyclopedia Britanica* , 2 (11), 632.
- 13- Filion, S. (2011). *Histoire de rome et providence divine selon Arnob de sicca*. Montreal, Canada: université Montreal.
- 14- Gounelle, R. (2008). *Arnob, contre les gentils. Arnobe contre les Paiens*. 88, p. 505. Paris: Les belles lettres.
- 15- Inglebert, H. (1999). *Arnobe de sicca et l'histoire de Rome*. (u. d. Nante, Éd.) *Afrique du nord Antique; culture et payasage* , 153.
- 16- Le Bohec, Y. (2013). *Histoire de L'Afrique Romaine 146 av - 439 ap*. Paris: A.J. Picard.
- 17- Lepelly, c. (1998). *Rome et l'integration de L'empire 44 av. - 260 ap*. (Vol. 2). Paris: PUF.
- 18- Monceaux, P. (1894). *Les Africains, Etude sur la littérature latine; les paiens*. Paris: Lecene oudin et cie.
- 19- Savon, H., & Fragu, B. (2012). *Arnobe; contre les gentils. contre les paiens*. 81, p. 283. Paris: les belles lettres.